

التقاطع بين الأدب والطب في الرواية الجزائرية: قراءة بينية

A Literary Exploration of the Interplay Between Medicine and Algerian Fiction

ط د/ نجلاء عبود ♦

جامعة دجلة، تركيا

umsarah986@gmail.com

ORCID iD Link : <https://orcid.org/-0000-0001-8793-4161>

د/ ياسر عبدي، أستاذ محاضر

جامعة دجلة، تركيا

yasser.abdy@dicle.edu.tr

ORCID iD Link : <https://orcid.org/-0000-0002-2745-1106>

تاريخ الاستقبال: 2025 /09/01 تاريخ القبول: 2025 /09/24 تاريخ النشر: 2025/09/30
--

الملخص:

يناقش هذا البحث طبيعة البينية بين الأدب والحياة، مركّزاً على قدرة الأدب في معالجة القضايا الواقعية وربطها بمختلف أشكال العلم والمعرفة. كما يوضح مدى إمكانية العلوم تعزيز دقة الأدب وموضوعيته، وفي المقابل كيف يساهم الأدب في جعل العلوم أكثر جاذبية وفهمًا للجمهور. يستعرض البحث مثالا من الرواية الجزائرية، رواية "قلب من طين" لإلهام مزيود، التي تتناول مرض السرطان لتبيان التكامل بين الأدب والطب، وبيان قدرة الفن الروائي على توسيع مدارك المتلقي وإحداث تأثير معرفي واجتماعي.

♦ المؤلف المراسل: ط د/ نجلاء عبود، ياسر عبدي

الكلمات المفتاحية: الأدب؛ البينية؛ الرواية الجزائرية؛ الطب؛ التكامل.

Abstract: This paper discusses the nature of interdisciplinarity between literature and life, focusing on literature's ability to address real-world issues and link them to various forms of science and knowledge. It also highlights how sciences can enhance the accuracy and objectivity of literature, while literature, in turn, contributes to making science more engaging and comprehensible to the public. The study presents an example from Algerian fiction, A Heart of Clay by Ilham Mezioud, which deals with cancer in order to demonstrate the integration between literature and medicine, and to show the capacity of the novelistic art to broaden the reader's horizons and generate both intellectual and social impact.

Keywords: literature; interdisciplinarity; Algerian novel; medicine; integration.

مقدمة:

يُعدّ الأدب فضاءً للكشف عن الأفكار وتجسيدها، ويتنوع هذا المحتوى الفكري بتنوع العلوم والمجالات الإنسانية، ما يجعل كلّ أديب وعالم مفكرين يسهمان في فهم العالم من منظورهما الخاص. عبر التاريخ، كان العلماء والمفكرون يجمعون بين علوم متعددة في رؤية موسوعية متكاملة، كما هو الحال مع ابن سينا الذي جمع بين الفلسفة والطب، وابن خلدون في الاجتماع والفلسفة والتاريخ، وأبي حيان التوحيدي بين الأدب والفلسفة، إلى جانب الخوارزمي، والرازي، وجابر بن حيان، وابن الهيثم، والبيروني، وابن طفيل وابن رشد، وغيرهم. هذا التراث الموسوعي يعكس قدرة الفكر على الربط بين مختلف المعارف، وهو ما يمكن أن نجده اليوم في الأدب، حيث تنفتح الرواية على العلوم لتصبح وسيلة للتعبير عن الحوادث والظواهر العلمية بأسلوب فني يتجاوب مع وعي المتلقي وإدراكه.

تُظهر الرواية الجزائرية مثلاً حياً على هذا الانفتاح، مثل رواية "قلب من طين" لإلهام مزيود، التي تعالج مرض السرطان، مبيّنة العلاقة التي تربط الأدب

بالطب، وكيف يمكن للرواية أن تسهم في بلورة الوعي، ورسم صورة شاملة للمعرفة العلمية، وتنبيه الجماهير إلى الانفتاح على الرسائل الأدبية متعددة الأبعاد.

استنادًا إلى ما سبق، تطرح الدراسة الإشكالية الأساسية التالية: ما مفهوم البينية في الرواية؟ وما علاقتها بالعلوم الأخرى؟ وكيف تجسّد حضورها في المتن الروائي؟ وهل يعزز ذلك القيمة الفنية والجمالية للسرد؟

وتسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة أهداف، أبرزها: توضيح مفهوم البينية وأثرها في الأدب، دراسة التداخل بين الأدب والعلوم، واستكشاف انعكاسات هذا التداخل في الرواية الجزائرية، وينطلق البحث من منظور تحليلي يعتمد على المنهج الوصفي والتكاملي، مستعرضًا الخطوط العريضة للتفاعل بين النص الروائي والمعارف العلمية.

1- النّقد الأدبي والدراسات البينية:

1.1- مفهوم الدّراسات البينية: الدّراسات البينية مصطلح متعدّد أشكاله يعرفها كلّ حسب زاوية تركيزه ونظره، فقد اعتبرها كل من "ويليام نويل Willim.H.Newell" و"كلاين جولي طومسون Klein.J.Thompson" بأنّها "دراسات تعتمد حقلين أو أكثر من حقول المعرفة العلمية، التّطبيقية أو النّظرية، أو هي عملية يتمّ من خلالها الإجابة على بعض الأسئلة أو حل بعض المشاكل أو معالجة موضوع متّسع، أو معقد للغاية يصعب التّعامل معه بشكل كاف عن طريق نظام أو تخصّص واحد"، كما أنّهما اعتبرها "دراسة مرجعها حقلان معرفيان فأكثر، وهي دراسة تجيب عن أسئلة وعن مشاكل يعسر على نظام معرفي واحد حلّها"¹ ومصطلح "النّظام Discipline" "فرع من فروع المعرفة أو حقل دراسي، يقع ضمن أي من الثلاث مجموعات أو التّخصّصات التالية:

¹ رمضان، صالح بن الهادي، د/ت، التّفكير البيني، أسسه النّظرية وأثره في دراسة اللغة وآدابها، جامعة الامام محمد بن مسعود الإسلامية، السّعودية، د/ط، ص 16.

- العلوم: الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا والزراعة ومختلف المجالات الهندسية.
- العلوم الاجتماعية: علم النفس، القانون، علم الانسان، والاقتصاد، والعلوم السياسية، وعلم الاجتماع.
- العلوم الانسانية: الفنون، الأدب، التاريخ، الفلسفة، الدين، المسرح والموسيقى.¹

تشير هذه التعريفات إلى أهمية اندماج الحقول المعرفية في بوتقة واحدة لإجابتها عن الأسئلة المطروحة وإعطائها آفاقاً واسعة للبحث العلمي، بعيداً عن النظام الأحادي أو الانشطار المعرفي الذي وضع حواجزاً ورسم حدوداً مما أدى إلى فشل وعجز المشاريع البحثية الضيقة؛ وهذا ما يستدعي الاستعانة بتخصصات ثانية لمعالجة وحل هذه المشاكل، وهذه الظاهرة الأدبية الجديدة أو ما يطلق عليها التعلقات البينية داخل العمل الروائي كانت نتيجة لـ "التصور الشبكي للفضاءات الذهنية التي تتفاعل وتشتغل بشكل ديناميكي داخل الذهن أثناء التفكير وعلى هذا الأساس تكون البينية دليلاً على امكانية التظافر والتعاون بهدف البحث عن الحقيقة"²

كما يعرفها "ميتو نيساني M. Nissani" بأنها "عملية تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصصات مختلفة، وهو تبادل قد يفضي إلى أن تتكامل التخصصات المتداخلة فتكون تخصصاً جديداً"³، وهذا يدلّ على أنّ انطلاقة الدراسات البينية تكون وفق حركة ديناميكية تتفاعل فيها المعارف للوصول إلى ما يسمى "بنظرية القفل والمفتاح" أو بمعنى آخر التكامل المعرفي لبناء جسر معرفي جديد.

¹ - عمارة بن عبد المنعم أمين: الدراسات البينية interdisciplinary studies رؤية لتطوير التعليم الجامعي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ص 02.

² - إدغار موران: الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصور ومنير الحجوي، دار توبقال، المغرب، ط 1، 2004، ص 867.

³ - M. Nissani: Fruits ; salads ; and smoothies: a working definition of interdisciplinarity, association for integrative studies; newsletter p18.

الواقع المعرفي يدلّ على أنّ البينية لم تكن وليدة العصر الحديث بل ضاربة في القدم، فقد تجسّدت في الثقافة العربيّة والإسلامية من خلال الحوار بين العديد من الميادين كالمنطق والرياضيات، وأصول النحو وأصول الفقه، أمّا حديثاً يمكن أن يُعد "الوعي الرومنسي عامة والفكر الألماني خاصّة نقطة البداية في هذا الباب"¹، فبالاستناد على مقولة الألماني "جوتة Goethe" الذي رأى أن ثنائية الدّاخل والخارج ماهي إلّا ثنائيّة عدميّة، لأنّها لا تعبّر عن حقيقة الظّاهرة الفكرية، ذلك أنّ "التّفكير الدّاخل يمكن أن يتحوّل إلى إحساس خارجي أو عمل خارجي والعكس بالعكس"²، ومن هنا أشار صالح رمضان إلى أنّ التّفكير النّظري البيني يعود إلى مقولة "الدّاخل" و"الخارج" أو "الذّات والموضوع" التي وسمت التّفكير الرومنسي، منذ منتصف القرن التّاسع عشر.

أما هايدغر فقد عمّق فكرة جوتة وأيدها ثمّ فنّد وأنكر فكرة انفصال الذات عن الموضوع، معتبرا أنّ الوجود الحقيقي هو "البين بين وأن مكّونات العالم جميعها منفتحة بعضها على البعض الآخر"³، إذ لا يمكن فصل مكّون عن آخر، وإذا حدث ذلك فستتولد ثغرات وفجوات وتتحطم جسور التّواصل.

أما بالنّسبة لسيغموند فرويد فقد أكّد فكرة التّلاحم والتّرابط من خلال إيضاح مفهومي "الاسقاط والاستبطان"، إذ جعل الاسقاط نقلاً لما في الدّاخل إلى الخارج والاستبطان نقلاً لما في الخارج إلى الدّاخل⁴، ومن خلال هذه الرّؤى والأفكار نشأت فكرة "التّكامل Intégration" وتبلورت حيث يمكن اعتبارها "عملية يمكن من خلالها الربط بين علمين أو أكثر من خلال الاستفادة من النّظريات والأفكار والمعطيات والمعلومات والمفاهيم والمناهج والأدوات داخل كل علم من

¹ - صالح بن الهادي رمضان: التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية، ص4.

² - المرجع نفسه، ص نفسها.

³ - المرجع نفسه، ص 5.

⁴ - المرجع نفسه، ص 5.

العلوم التي يستعان بها في الدراسة"¹، فمنه ومن أجل الوصول إلى مجالات بحثية جديدة جاءت البيئية كامتداد لكل الحقول المعرفية، وليست مجالا خاصا بالبحث الأدبي وحسب.

2.1- أثر البيئية في النقد الأدبي:

إن ما بعد الحداثة المنبثقة من اللانظام تعقيدا وتفككا وانفصالا، أتت بمبدأ الانفتاح على العلوم بشتى مجالاتها وكان للنقد الأدبي نصيب من هذا الانفتاح الذي أتى به الفكر المعاصر الحداثي؛ هذا لأنّ النقد يولّد الابداع وكلاهما يعبران عن الواقع، والأدب حديثا "بانفتاحه على العلوم الإنسانية المساندة للدراسة الأدبية بحاجة هو أيضا ماسة إلى تضافر التخصصات في دراسة النصّ الواحد وتأويله"²، مما يدل على كسر الحواجز والحدود التي تحمي التخصصات وغلق الفجوات وبناء جسر تواصل يربط العلوم بعضها ببعض للوصول إلى حل للمشكلات والتعقيدات التي جادت بها فرادة التخصص، لذا وجب على النقد عموما والنّاقد خصوصا أن يقدّم "إضافة ثابتة على طريق استكشاف خبايا العلم وفحص الأسس المفهومية التي تقوم عليها قواعده"³، لذا فالانفتاح لن يكون على مستوى المعارف الأدبية المعروفة بل سيكون أشمل وأعم وعلى أوسع نطاق ليستشف الكنه الفسيفسائية العميقة والدقيقة؛ لأنّ عمل النّاقد البيئي القارئ ليس كعمل القارئ العادي، فالأوّل يلم بشذرات المعرفة الموجودة في أكثر من تخصص، ثم يقوم بصهرها في بوتقة واحدة ويستخلص منها الدلالة التي لا يمكن تحصيلها من خلال تخصص واحد بل في ضوء تخصصات متعدّدة للحصول على

¹ - هاني خميس أحمد عبده: البحوث البيئية وتقدّم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب علمية وخيارات مستقبلية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ص 157.

² - رمضان، صالح بن الهادي، المرجع السابق، ص 19.

³ - عبد السلام المسدي، المصطلحات المتصلة باللغة عند المتكلمين، أنموذج القاضي عبد الجبار، ندوة الدراسات المصطلحية والعلوم الإسلامية، ج2، جامعة سيدي محمد، الزباط، 1993، ص 45.

أكمل معنى وهذا ما يفقده القارئ العادي، البينية في الرواية وتداخل وتشابك أكثر من تخصصين في متن واحد يمكن من معرفة جملة التقاطعات المختلفة بين شتى المعارف والعلوم ويللم الواقع الزاھن ويزحزح مفاهيمه الثابتة؛ لأنّه لا يوجد ثبات في الوجود، وإذا ما وجد فذلك ركود للفكر وجمود للعقل ووأد للتقد وعودة إلى الوراء، ذلك أنّ الانسان جوهر وكل مترابط غير قابل للتجزئة، ومن ثمّ برزت الحاجة إلى منهج متكامل ونقد بيّني تفتح بواسطته الآفاق التي عجزت عن بلوغها بقيّة المناهج السابقة.

2-قراءة بينية سيميائية في رواية "قلب من طين" للروائية "إلهام مزبود":

تمضي بنا الروائية "إلهام مزبود" في رواية "قلب من طين"، وتفويض أوديتها المنهمرة بمزيج من القوالب الطبّية والتفسيّة والاجتماعيّة، رغم صعوبة وضعهم في بوتقة واحدة، إلّا أنّها استطاعت أن تشابك بينهم بامتياز، طغى على الرواية الطابع الطبّي حتى أصبح المحور الأساس الذي تدور حوله أحداث الرواية، وكما يقول واسيني الأعرج "الرواية في النهاية هي مقاسمة تجربة إنسانية"، وتجربة الطب كانت ولا زالت منذ خلق البشر، فقد جعلت الكاتبة الشخصية الرئيسيّة هي المريضة "ياسمين"، التي وجدت نفسها في ورطة لا تحسد عليها، أضحت تعاني من مرض خبيث ألا وهو "سرطان الثدي"، الذي ينهش جسدها المريض ويمزق روحها، إذ لم تكتف بوصف المرض بل غاصت في أغواره لتصف أعراضه التي تزداد خطورة يوما بعد يوم، فكشفت عن طبيعة هذا المرض المميت وما ينتج عنه من مأس ومعاناة وآلام، إنّهُ الفجعية الكبرى التي تدمى لها القلوب، فهو لا يقتصر عن كونه مرضا عضويًا فقط بل نفسي أيضا، يجعل روح المريض تتأزّم من تتالي الصدمات، فالخبيث دون أعراض في بدايته ويكتشف فقط بعد تمكّنه من جسد المصاب، ووراء كل مصاب بداء السرطان حكاية مختلفة ومتميّزة، تستميل القارئ ليبحر في ثنایا الرواية، ليرى الزاوية التصويريّة للمشهد المأخوذ من واقع الحياة من ناحية طبيّة، وتعدّدت المشاهد من خيبة وانكسار ثمّ بثّ للحيرة في الوصال، ثم تبشير بالفتح والانتصار.

ومن الجدير بالذكر أنّ كاتبة الرواية "إلهام مزبود" قد أشارت في نهاية الرواية إلى أن "الدكتور صلاح الدين بلفقيه مسؤول مصلحة طب الأورام السرطانية"¹، هو من زوّدها بالمعلومات الطّبيّة القيّمة التي قدّمها هي بدورها ككاتبة مشيرة أيضا إلى استفادتها من جهوده التي يبذلها مع مرضاه، وبالتالي يعتبر الدكتور "بلفقيه" الشّريان النابض الذي كسى الرواية بحلّة طبيّة، فتشابكت الرواية المرأة العاكسة للواقع المعاش الذي ينهل منه الأدب، مع المجال الطّبي عموما والبشري خصوصا، ومنه طغت المفردات العلميّة الطّبيّة مع العناصر الروائية من راو مشارك وهو الطّبيب، والشخصيّات المتمثلة في المريضة والمرضى والأطباء والطّاقم الطّبي وغيرهم، وتتالي الأحداث ومضيّ الزّمن ومكان العلاج، فكان هناك حضور مكثف لمفردات الطّب، وهذا ما منع عزل التّخصّصات كلّ في قوقعته؛ فكُسر الحاجز بين الأدب والطّب وصُغت الرواية بصبغة طبيّة، والرواية الإنسانيّة المريّة التي تحمل في ثناياها الكثير من الأسى والتأثير هنا ستُعرض من لدن أدبية ووجهة نظر طبيب مختص، يعالج آلاف المرضى كلّ يوم، فأبت الكاتبة من خلال جملة الأفكار التي تدور بذهنها وكميّة المشاعر التي تثور في نفسها إلّا أن تنظّمها في قالب أدبيّ تجمع من خلاله ما يمرّ به الطّبيب في المشفى ولا يعرفه القارئ.

رواية "قلب من طين" رواية أشبه بعالم تتنازع إرادتان؛ إرادة البقاء حفاظا على الذات، وإرادة الهيمنة والتّخلي عن الذات، تحكمها ثنائيّة الأنا والآخر، الأنا المتمثّلة في جرعات الأمل التي تنادي بها الموائيق والدّساتير الحيّاتيّة، والآخر المتمثل في "كل ما هو (غيري) أي ما هو خارج نطاق الذات"²، إمّا الاستسلام للمرض والخضوع للموت أو التّشبّث بالحياة، وهنا تحسّ الذات المتمثّلة في ياسمينه أنّها غريبة مغتربة لا وعية ومهمّشة مقصيّة في فضاء بيّنيّ مرضيّ كما

¹ - الرواية: ص 223.

² - سمير الخليل، دليل المصطلحات الثّقافية والتّقد الثّقافي، إضاءة توثيقية للمفاهيم المتداولة، دار الكتب العلميّة، د/ط، بيروت، لبنان، د/ت، ص: 09.

يسميه "هومي بابا Homi Bhabah"، تقول ياسمينة متموضعة ذاتها "ضمن خطاب ثقافي معين"¹، بحثا عن ميكانيزميات لتتأقلم من خلالها مع وضعها الجديد "انتظرت الأرض كي تنشقّ وتبتلعنا دفعة واحدة لكن هذا لن يحدث، موعد القيامة لا يزال منتظرا، لم يخرج "أجوج ومأجوج" بعد، لم يظهر المهدي المنتظر، لم ينزل "عيسى" من سمائه، لم يظهر المسيح الدجال ذو العين الواحدة الذي سيلتهمنا الواحد تلو الآخر، حتى فلسطين لم تستقل بعد بل أعلن "ترامب" مؤخرا أنّ "القدس" عاصمة الكيان الصهيوني، لم تشرق الشمس هذه الصبيحة من مغربها وفوق هذا ليست الجمعة"²، سافرت بنا تقرر نهاية صراعها مع مرضها بنهاية العالم، لا تريد الموت لوحدها بل تريد أن يرحل العالم معها، لكن هيات هيات لا مفرّ من الواقع، إنّها مفارقة وجوديّة مؤلمة لقلب من طين.

عنوان الرواية "قلب من طين" يشبه نوعا ما مقولة شمس الدّين التبريزي الشهيرة "عندما أخبرته أن قلبي من طين سخر مّي لأنّ قلبه من حديد، قريبا ستمطر.. سيزهر قلبي ويصدأ قلبه"، بإسقاط العنوان على المقولة تتّضح الرؤية أكثر فعند سقوط المطر تزل تشققات الطّين انصياعا وترتوي احتواءً وتزهر حبا وتخضّر حناناً وتورق كرمًا، وفي المقابل نفس القطرات تسقط على الحديد فيصدأ غصبا، ويكسر جناحه رغما، ويلحف بنار الجفاء مرضا، كما حدث مع ياسمينة ذات القلب الطّيني، فالعنوان يشير إلى هشاشة قلبها وما تعانيه من هذا المرض كما هي هشاشة الطّين الذي طال جفافه حتى تشقّق من شدّة ما عاناه في السّنين العجاف مما أدى به إلى القحط، هنا تمتّ ياسمينة لو أن الحلم طال لترى إلى أين المآل، وهل هناك في الأفق البعيد سنابل خضر وبقرات سمان، وراحت تلوم والديها عن الخطأ الذي ارتكباه عندما قاما بتسميتها اسما لشيء مفرد قائلة "كان يجدر بهما اسقاط التاء في آخر الكلمة ليصبح اسمي "ياسمين" كلّما ماتت ياسمينة استخلفتها ياسمينة جديدة من الياسمين السّخي الذي لا

¹ - نفسه، ص74.

² - الرواية: ص102.

يزول"¹، وتكالتبت على قلبها الطّيني امتحانات القدر، قالت أنّ زوجي بوجه الحقيقة وثوب المزاح "مستعدّ لتأمين امرأة تساعدني (يقصد زوجة)، هذا ما يقول حين يشعر بتعب، أو تزداد شكواي وتذمّري من لا مبالاته، هؤلاء الرجال لا أدري كيف يفكرون، عاجزون عن توفير أدنى احتياجات زوجة واحدة ويطالبون بالمزيد، عن نفسي ليس لي مكان بحجم خرم إبرة لتحمل مزحته السّمجّة، الثّقيلة، التي لا يمتلك سواها في الغالب"²، وكذلك تحاقر بعض البشر المتطّقلين عليها أمثال جارتها التي قالت عنها أنّها "لمحتها عدّة مرات واقفة مع زوجي على الدّرج وقد كان يضحك حتى يغمض عينيه وهي تتحدّث إليه"³، إغتنما فرصة مرضها لا مبالين بنظراتها ومرضها ولا حتى عبراتها، لكن ما إن أغاثه بعض من أمل منهمر بشآبيب الرّحمة حتى أزهر القلب الطّيني وتضوّع مسكا في رحاب الياسمين.

غلاف الرّواية الذي بين أيدينا يلفت النّظر بألوانه المتنوّعة والمتناسقة والمريحة، والتي تحمل دلالات عميقة تتعلق بسرطان الثّدي، فنجد أنّ اللون البني الفاتح يملأ خلفيّة الغلاف، معبّرا عن الحزن والألم والخوف الذي يعيشه المصابون بهذا المرض وذويهم، كما يرمز البني إلى الأرض والجذور والانتماء الذي يحتاجه المريض للشعور بالدّعم والتّضامن، أما اللون البني الفاتح الذي يظهر كظل لعنوان الرّواية ورسومات الغلاف، فيمثّل الهدوء والرّاحة النّفسية والتّفاؤل أيضا؛ إنّّه يعكس الأمل في الشّفاء والتّغلب على هذا الدّاء، كما يضفي لمسة من الدّفء والنّعومة على الغلاف، ولعل أبرز ألوان الغلاف هو اللون الورديّ المحمر، الذي يشكّل شريطا عريضا في الجزء العلوي من الغلاف، يحتضن عنوان الرّواية واسم الروائيّة، إنّّه يمثّل لون الأنوثة والجمال والحب يمثّل مشاعر امرأة ذات قلب مرهف المتوقع يرى أنّها رواية رومانسية وهادئة ورقيقة لكن على العكس كانت رواية مليئة بالألم والتّجربة الثّقيلة على القلب، هذا اللون ارتبط ارتباطا

¹ - الرواية: ص 111.

² - الرواية: ص 16.

³ - الرواية: ص 159.

وثيقا بسرطان الثدي؛ لأنّه يستخدم كرمز للتوعية والتضامن مع المرضى، ويعبر عن قوّة وشجاعة النساء اللواتي يواجهن هذا التّحدي، وفي النّصف السفلي من الغلاف نرى لونا أخضر زيتوني يمثّل الحياة والطّبيعة والنّمو، يشير أيضا إلى الصّحّة والشّفاء والتّجديد، ويعطي إحساسا بالانتعاش والحيويّة، ويرمز أيضا إلى السّلام والايّمان والثّقة بالله الشّافي والمعين، يعلوه قلب بلون أحمر دموي، يمثّل الدّم والجرح والتّزيف، ويعكس الصّراع والمعاناة والتّضحية التي يخوضها المرضى في مواجهة سرطان الثدي، كما ينبّه إلى خطورة هذا المرض وضرورة الكشف المبكر عنه.

هكذا، نجد أنّ الألوان التي اختارتها الروائية لغلاف روايتها تخلق تباينا وتناغما في آن واحد، وتعكس مشاعر ومعاني متعدّدة متعلّقة بمرض السرطان، ونحن نقرأ الرواية نستطيع أن نرى كيف تتجسّد الألوان في قصص وشخصيات وأحداث هذه الرواية، ممّا يزيد من جاذبيّة وتأثير الرواية على القارئ.

يعتبر الإهداء بوابة لأهمّ الموجهات النصّية و"أحد الأمكنة الطّريفة للنّص الموازي التي لا تخلو من أسرار"¹، فهو حمّال أوجه ومؤشّرات دلاليّة من خلاله يتحدّد مسار المغامرة والقراءة التّأويليّة "لا يخلو من معطيات توجّه استراتيجيّة الكتابة"²، فنجد "إلهام مزيود"، تحتفي بمقاطع روايتها، وتشغل على الإهداء كونه "مثير فضول لمعرفة بعض التّفاصيل المتعلّقة بخصوصيات الكاتب وحياته الحميمة، على اعتبار أنّ الإهداء هو أحد الجيوب النصّية الأثيرة التي تحتضن دفي هذه الخصوصيّة"³، فرفعت اهداءها لوالديها وزوجها وأخوتها وابنتها، وهذا ما

¹ - نبيل منصّر، الخطاب الموازي للقصيدة العربيّة المعاصرة، دار توبقال للنّشر والتّوزيع، ط1، الدّار البيضاء، المغرب، 2007، ص: 48.

² - عبد النّبي ذاكر، عتبات الكتابة، منشورات مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشّخصي، ط1، أكادير، المغرب، 1998، ص: 136.

³ - عبد المالك أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربيّة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط1، سوريا، 2009، ص: 206.

يكشف عن ولائها لعائلتها كونهم المنهل الذي تستقي منهم أريج الحياة ووهج الأيام والإلهام، وإلى التَشَقَّقات التي استطاعت الانفلات من قيودها وسحر تأثيرها، ومنحت شارة القوة الطَّاغية إلى قلبها الذي أزهَر بعد كل تلك التَشَقَّقات، ومسحت عليه بنفحتها الدَّائِيَّة وتوشيحها اللغوية ذات الطَّابع الموسوعي.

استعملت "مزيود إلهام" في روايتها جملة من الاقتباسات منها: مقولة "فرانس كافكا" الشهيرة "هذه ليست ملامحي، أنا بريء يا إلهي، بريء من كلِّ هذا الحزن"، هذا ما أوردته الروائيَّة قبل المدخل الرَّوائي الذي راحت تسرد فيه قصَّة الكابوس أو الحلم المرعب المزعج الذي رأيته، ومن ثمَّ انقلب حالها وكأنها تقول أن كلَّ الحزن الذي في الدُّنيا قد أصبح بجعبتها، ولكن ليس بإرادتها فتوجَّسَّتها كانت أقوى منها، وكل ما تحاول الهروب تجد الملامح التي تخيفها قد تمكَّنت من جسدها، "ياسمينه" بريئة من هذا الحزن القاتل ولم تكن هذه شخصيَّتها فلم تجد تعبيراً أصدق وأقوى من تعبير "فرانس كافكا" ليعبِّر على ما لم تستطع هي البوح والتَّعبير به.

استمرَّت "إلهام مزيود" في الكتابة بعناوين رقميَّة لمقاطعها السَّردية، واعتمدت ستة عشر مقطعاً رقمياً، كان كل مقطع يسرد جزءاً من حياتها، ففي هذه المقاطع راحت تسرد يوميَّاتها الروتينية المملَّة دون التعرُّض لذكر المرض أو أعراضه بشكل مباشر، فقط ذلك الكابوس الذي بدأت به حكايتها مشيرة إلى إرهابها وصداع رأسها الذي بالكاد يتوقَّف، ثمَّ في المقطع الثَّالث راحت تتحدَّث عن موعدھا مع الطَّبيبة النَّسائيَّة وعن الكابوس الذي تخاف حدوثه، تقول الروائيَّة: تجمَّدت أطرافی، اصطككت أسناني، امتلأت عيني بالدموع، وعادت القشعريرة تلبسني من جديد حين زفرت أخيراً وقالت هناك كتلة بارزة في الثدي الأيسر، موطن الألم الذي تشعرين به، علينا إجراء بعض الفحوصات سيِّدتي¹، ثمَّ تبدأ رحلة الفحوصات والتَّحاليل الطَّبيَّة، ومع بداية المقطع الحادي عشر استعملت مقبوساً ثانٍ "يا إلهي أنا بحاجة ماسَّة ومستعجلة لعينين أكبر، كي تتَّسعا لدموع

¹ - الرواية ص 43.

أكثر "راحت تبوح عن رحلتها العلاجية وصعوبتها وتأزم حالتها النفسية وتدهورها، إضافة إلى تدهور الوضع العائلي الذي كان أقصى ما يؤلمها فيه هو أولادها، وزوجها الذي كانت تخاف أن تخبره بما حصل معها، لكن فضحتها الأعراض المرضية، إذ تقول: "اصفرار بشرتي بدأ يذيب القناع الذي أرتدي، يتوجس زوجي أخيرا من شرودي ونحن على طاولة الإفطار"¹، وأخيرا لاحظ زوجها مرضها وتغيرها على غير عادته لكنها دوما تتذكر المثل الشعبي القائل "العين بصيرة واليد قصيرة"، كما نجد مقبوسا لـ "جلال الدين الرّومي" القائل "إنّ جراحنا هي التّشقّقات التي يدخل منها النّور، لذا أنا ممتن لكلّ جراحاتي"، هنا بدأت تتقبّل مرضها وتعايش معه وتبحث عن علاج غير البتر، لأنّ جراح قلبها بدأت ترى احتياج أولادها لها من خلال نور الاشتياق الممزوج بالخوف من فقدانها، كان هذا مع بداية المقطع الأخير الذي لجأت فيه إلى جلسات العلاج الكيميائي، وبدأ شعرها يرجع للنمو نوعا ما.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية والتي تناولت تمظهرات البينية في رواية "قلب من طين" للروائية إلهام مزبود، يمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث كما يلي:

أولاً، تبين أنّ التوجّه نحو الدراسات البينية أصبح حاجة ملحة، لما توفره من منهج إبداعي يقوم على التّحاور وتلاقح الأفكار، وتقريب جسور المعرفة بين مختلف التخصصات. ثانياً، من الضروري إدراك أنّ المناهج ليست معرفة نهائية، بل قابلة للنقد والتقويم عند استيعاب خلفياتها، وإلا فإنّها قد تفرض نفسها على النصوص، ويصبح عمل الناقد عبثياً مع نتائج عقيمة. ثالثاً، يظهر الانفتاح على العلوم الأخرى واستثمار ما تقدمه خدمة للنص الأدبي والنقد أداة قوية لتحقيق نتائج أكثر دقّة وموضوعية.

رابعاً، توضح الدراسة أنّ دمج المعارف متعددة التخصصات يعزز الإبداع في طرق التفكير ويحقّق التكامل، بما يؤدي إلى إنتاج معارف ومعاني جديدة وفهم شمولي

¹ - الرواية: ص 29.

متقدم، ويقضي على الفجوات الناتجة عن الانفصالية بين التخصصات الدقيقة. خامساً، أظهرت النتائج أنّ الدراسات البينية تمثل حركة ديناميكية تربط الثغرات المعرفية وتفتح المجال لمنهجية متكاملة تجمع مختلف العلوم لخدمة الإنسان، وأن الثقافة الموسوعية أصبحت ضرورة ملحة لإنجاز أعمال تحتوي على علاقات بينية بين مختلف المعارف.

أما الآفاق المستقبلية التي تفتحها هذه النتائج، فتتمثل في تعزيز الدراسات النقدية التي تعتمد على التداخل بين الأدب والعلوم، واستكشاف مجالات جديدة للرواية البينية، فضلاً عن تطوير أدوات نقدية متكاملة تتيح للباحث استيعاب الأعمال الروائية المستحدثة بعمق أكبر، وفتح مسارات بحثية متعددة تعالج التداخلات بين المعرفة والأدب في السياقات الثقافية المختلفة.

قائمة المصادر:

- إدغار موران: الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، تر: أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال، المغرب، ط1، 2004.
- أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ج2، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 2001.
- عبد الوهاب جعفر: البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1989.
- داود خليفة، براديفم التعقيد والفكر المركب عند ادغار موران، مجلة الحوار الثقافي، المجلد6، ع2.
- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة 1998.
- يمنى طريف، الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين -الأصول- الحصاد- الآفاق المستقبلية - سلسلة عالم المعرفة، اصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 264، ديسمبر سنة 2000.

التقاطع بين الأدب والطب في الرواية الجزائرية: قراءة بينية

- مكايي محمد. (2021). الدراسات البينية: المفهوم والأصول المعرفية. جسر المعرفة, 7(5), 271-288.
- داود . خ. (2017). براديغم التعقيد والفكر المركب عند إدغار موران. الحوار الثقافي, 6(2), 72-76.
- أندري ل. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (2 ط). بيروت: منشورات عويدات.
- بسمة زحاف. (2023). البينية -قراءة في المفهوم والنشأة-. مجلة إشكالات في اللغة و الأدب, 12(2), 54-66.
- جعفر ع. ا. (1989). البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشال فوكو (1 ط). القاهرة: دار المعارف.
- الخولي ي. ط. (2000). فلسفة العلم في القرن العشرين -الأصول- الحصاد- الأفاق المستقبلية (264 ط). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- ادغار م. (2004). الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب (1 ط). المغرب: دار توبقال.
- فضل ص. (1998). نظرية البنائية في النقد الأدبي. القاهرة: دار الشروق.
- نعيمة . س. (2017). الرواية الجزائرية وقضاياها. دراسات لسانية, 2(6), 37-58.
- (2025). mouamnia, lahcene, & ziem, houda. العلوم البينية في الدرس اللغوي بالجامعة الجزائرية – اللسانيات العرفانية واللسانيات العصبية أنموذجان -. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية, 18(1), 89-110.
- مفقوده . ص. (2005). نشأة الرواية العربية في الجزائر التأسيس والتأصيل. مجلة المخبر 'أبحاث في اللغة والأدب الجزائري, 2(1), 7-32.